وزارة التعليم العالـــــى
جامعة الملك ســـعود
كليـــة التربيـــة
قســم علـــم النفـــــس

ســلوك التعلق وقلق الانفصـــال

" فى غياب دور الام وآثاره على التنميـــة الاجتماعية "

اعـــداد

دكتور عبدالمجيد سيد احمد منصـور
استاذ مشـــارك
قسم علم النفـــس ـ كلية التربية
جامعـــــة الملك ســـــعود

دراسة مقدمة الى " ندوة الطفل والتنمية " والتى تقيمهـا وتشرف عليها : وزارة التخطيط ـ بالمملكة العربية السعودية بالرياض فى المدة من ٢٢ ـ ٢٤ ربيع اول عـــام ١٤٠٧ هـ

يقول الله تعالى فى محكم آياته :

" والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما "

(سورة الفرقان : آية ٧٤)

وقال رسول الله محمد هادى البشرية عليه أفضل صلاة وتسليم :

" ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع "

بسم الله الرحمن الرحيم

" سلوك التعلق وقلق الانفصال فى غيـــــاب دور الام " وآثـــاره على التنمية الاجتماعية"

* تمهيـــــد :

فى قصة ابراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر رضوان الله عليهما ،عندما أمر زوجته هاجر أن تحمل رضيعها اسماعيل ،ويسير الركب جميعا حتى يدخل الى صحراء الجزيرة العربية فى واد ليس فيه زرع ولا ثمر ولا شجر ولا طعام ،وحيث خلت الصحراء امامهم من علامـــات الحياة ،وحيث نادت هاجر وهى تهرول خلف زوجها تناديه " اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى لا شىء فيه ؟ هل أمرك الله بهذا ؟ فقال بلى .. فقالت هاجر المؤمنة بربها لـــن نضيع ما دام الله معنا وهو الذى أمرك بهذا .

ونادى ابراهيم متوسلا رافعاً يديه الى السماء :

" ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "(سورة ابراهيم اية ٣٧) . وترك ابراهيم عليه السلام زوجته وابنه الرضيع فى الصحراء وعاد راجعاً من حيث أتى .. الى كفاحه فى دعوة الله ،وأرضعت ام اسماعيل ابنها وأحست بالعطش ،وكانت الشمس ملتهبة ساخنة وتثير الاحساس بالعطش وبعد يومين انتهى الماء تماماً ،وجف لبن الام .. وأحست هاجر واسماعيل بالعطش وكان الطعام قد انتهى هو الاخر .. وبدأ الموقف امام الام صعباً وحرجاً للغاية ،وبدأ اسماعيل يبكى من العطش .. وكانت عاطفة الام التـــى لا يعدوها عاطفة تهرول ساعية لاهية بين الصفا والمروة سبع مرات واضعة يديها فوق جبينها لتحمـــــى عينيها من أشعة الشمس الحارقة وتضيق عينيها وتبحث بهما عن بئر أو انسان أو قافلة او حس او خبر لتنقذ أولا صغيرها ،وعادت هاجر فى المرة السابعة وهى مجهدة متعبة تلهث .. وتجلس باكية بجوار ابنها الذى كان صوته قد بح من البكاء والعطش . وفى هذه اللحظة البائسة أدركتها رحمة الله ،وضرب اسماعيل بقدمه الارض وهو يبكـــى ، فانفجرت تحت قدمه " بئر زمزم "

وكلنا يدرك ماكان امر الله فى هذه البقعة المباركة التى استجاب الله فيها لدعاء ابراهيم عليه السلام وحيث أوجد الله تعالى فيه :

" ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات مبينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومـــن كفر فان الله غنى عن العالمين "

(سورة آل عمران - ايات ٩٦/٩٧) .

ان قصة هاجر وولدها اسماعيل تمثل اسمى عاطفة بين بنى البشر ،وهى عاطفة الامومة والتى لا تعدوها عاطفة اخرى .. فالام وعاء وسقاء ورعاء ،ولذلك ليس بمستغرب أن نجـد ان العاطفة المتبادلة بين الابناء والامهات تمثل اسمى درجات المظاهر الانفعاليـــــة والعاطفية بين بنى الانسان وعاطفة الامومة ،يتبعها ما يُعرف فى مظاهر السلوك الانسانى " التعلق " وما يتبعه من سلوك آخر نطلق عليه " قلق الانفصال " والذى يكون مرجعـه استبدال التعلق بقلق وتوتر نتيجة الانفصال المؤقت أو الدائم من قبل الام وغيابها من حياة الصغير ،وحيث يكون الانفصال بسبب عمل الام أو ترك الصغير بين يدى مربية أو حاضنة أو بسبب انفصال الام عن الاب ،أو للاسباب الاجتماعية الاخرى التى تحدث عند الصغير ما يعرف بالاغتراب او التباعد . *Alienation* بينه وبين من "يتعلق به " وحتى نعرف خصائص " التعلق" وقلق الانفصال من النواحى النفسية ،وكيف امكن الكشـــف عنها بالوسائل التجريبية بين صغار الحيوانات وصغار بنى الانسان ،نعرض فى لمحة سريعة

المفهوم اللغوى لهذه المصطلحات ومفهوم "الحضانة" الذى توّديه بدائل الامهات ،عند غياب دور الام فى التنشئة الاجتماعية لصغيرها .

** المفهوم اللغوى " للتعلق " :

يشير " ابن منظور " فى لسان العرب المحيط (المجلد الثانى ـ ص ٨٦٣) .
علق : علق بالشىء علقاً وعلقه نشب فيه قال جرير :

اذا علقت مخالب بقـرن اصاب القلب أو هتك الحجابا

وهو عالق اى نشب فيه . وقال اللحيانى العلق النشوب فى الشىء يكون فى حبل أو ارض واعلق الحابل علق الصيد فى حبالته اى نشب .
ويقال علقت مراسيها بذى رمرام ،وبذى الرمرام ،وذلك حين اطمأنت الابل وقرت عيونها بالمرقع ويضرب هذا لمن اطمأن وقرت عينه بعيشه أى أن التعلق هو ما يحدث عند الكائن الامن والاستئناس .

** المفهوم اللغوى"للانفصال " :

يقول " ابن منظور " فى لسان العرب المحيط المجلد الثانى ص ١١٠٠) انفصال بمعنى " الفطام " وفى كتاب الله العزيز ما يشير الى ذلك :
" وحمله وفصاله ثلاثون شهرا " (سورة الاحقـــاف : آية ١٥) فمدى حمـــل المرأة الى منتهى الوقت الذى يفصل فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهراً . وفصلت المرأة ولدها اى فطمته ،وفصل المولود عن الرضاع يفصله فصلاً ،وفصالاً وافتصله بمعنى فطمه ، والاسم " الفصال " .

وسيتصل بهذين المفهومين مفهوم آخر سيرد ذكره فى هذه الدراسة وهو مفهوم "الحضانة" وهو العمل الذى توّديه " بدائل الامهات " .

** المفهوم اللغوى للحضانة " :

كما ورد على لسان " ابن دريد " (فى كتاب الجمهرة) فى اللغة ـ جـ٢ ـ ص ١٦٩) ، يشتق من الفعل " حضن " والحضنان ... ناحيتا الانسان ،والجمع احضان ونواحى كل شىء احضانه . قال الشاعر :

شككت حضنيه بمطرورة مثل قدامى النسر لم تنأد

ومن ذلك قولهم حضنت الدجاجة البيض وغيرها تحضنه حضناً إذا جعلته تحت حضنها . والموضع المحضن وأمرأة حضون بمعنى بنية الحضان وقالت الانصار يوم السقيفة (انحضن عن هذا الامر) ،اى يستبد به دوننا .

** المفهوم النفسى لسلوك " التعلق " عند الرضيع " :

فيما يتعلق بالمفهوم النفسى لسلوك التعلق ،فإن التعلق الذى نعنيه هنا هو التعلق العاطفى Attachment (Infantile period) والذى يعد من الناحية النفسية من مظاهر السلوك الانفعالى والاجتماعى عند الاطفال فى اعمارهم من الميلاد حتى نهاية فترة الرضاعة الرغبة الشديدة فى الارتباط والاقتراب الى حد الالتصاق ـ من افراد اخرين لهم سواء كانـــوا امهاتهم أو من يقوم بالعناية بهم أو من لهم مكانة معينة لديهم .

فالاطفال فى هذه المرحلة يميلون الى التشبث وهو تشبث من النوع المعروف نفسياً بالتشبث الوجدانى او الانفعالى Affectionate attachment ويكون التشبث بفرد آخر من الكبار المحيطين بهم ويطلبون منهم إن يحملاهم ،ويتبعانهم فى مجيئهم ورواحهم ،ويبكون عندما يتركونهم وهكذا.هذا النمط السلوكى يطلق عليه من الناحيـــة

النفسية " التعلق " وهى عملية أشد تأثيرا وأقوى فعالية وأكثر أهمية بالنسبة للنمو فى المراحل التالية ،حيث يتعلق الطفل بشخص يحتل لديه المكانة الاولى وهى فى أعم الأحوال الأم أو بدائلها (الحاضنات أو المربيات) .

ويبدأ تعلق الطفل بشخص معين (أو بعدة اشخاص معينين) فيما بين الشهر السادس والشهر التاسع من عمره . وتزداد حدة التعلق فى الاشهر القليلة التالية من عمر الطفل.

ويتميز التعلق من الناحية الانفعالية بكونه مصاحب بمشاعر قوية وأحياناً عنيفة ، مثال ذلك ابتهاج الرضيع وسروره عند استقبال الام او الحاضنة وهياجه وغضبه وبكاءه لفترة طويلة عند ابتعادها أو مفارقتها له .

وفى هذه السن (أى حتى عمر سنة من الميلاد) غالباً ما يضطرب شعور الاطفال بشدة عندما ينفصل عنهم الاشخاص الذين تعلقوا بهم ،كما يحدث مثلا عندما يترك الطفل للحاضنة او المربية من قبل الام أو اى جليس آخر ليست لهم به صلة ،أو عندما يترك الطفل فى رعاية ام بديلة (زوجة الاب) أو فى مؤسسة اجتماعية لرعاية الاطفال او ما شابه ذلك .

** تفسير ظاهرة " التعلق " :

لتفسير ظاهرة التعلق حاول علماء النفس دراسة هذه الظاهرة من أكثر من منظور ،وحيث تغيرت فى السنوات الاخيرة الاراء حول تفسير هذه الظاهرة (اسماعيل ـ ١٤٠٦هـ) . ولقد كان السائد حتى وقت قريب وجهتى نظر اساسيتين فى تفسير التعلق :

١ـ وجهة النظر الاولى : هى نظرية التحليل النفسى التى تصف " التعلق " بأنه متعلق بموضوع الحب اى الانتماء العاطفى فالأم باعتبارها مصدراً لاشباع الحاجات الاساسية للطفل تصبح " موضوعاً للحب والانتماء وتعلق الطفل بها إنما يُعبر عن رغبة عند الطفل فى الحصول على الاشباع الاساسى لحاجاته .

٢ـ وجهة النظر الثانية تتمثل فى نظرية التعلم التى تقرر أن الطفل يصبح متعلقاً انفعالياً بالأم (او الحاضن) لارتباطهما عنده بخفض التوتر ،فالأم تكون فى البداية مثيراً محايداً لطفلها ،ولكن بعد أن تقترن لديه عدة مرات بأحداث سارة ،كالتغذية وازالة الالم ،فإنها تكتسب فيما بعد ـ نتيجة لهذا الاقتران خصائص ايجابية فتصبح مرغوبة لذاتها ،من حيث أنها تخفف آثار الالم وتحدث الرغبات السارة .

** المفهوم النفسى الحديث لسلوك " التعلق " :

تغيرت آراء علماء النفس فى تفسير ظاهرة التعلق عند قيامهم باجراء تجارب على صغار الحيوانات ،عند عزلها وهى صغيرة عن امهاتها وملاحظة سلوك هذه الصغار عند اشباع حاجاتها وهى حاجات فطرية تقوم الامهات باشباعها ،الأمر الذى يتبعه تعلق الصغار بالامهات .

ضمن التجارب التى تمت فى هذا المجال ما قام به " هارى هارلو (H. Harlow ١٩٧٢) ورفاقه على صغار نوع معين من القردة التى تعيش فى الهند ،والتى من خصائصها الجسمية وجود ذيل قصير وتسمى فى المملكة الحيوانية Rhesus Monkeys .

وأوضحت تجارب " هارلو " أن " التعلق " بين الصغير والحاضن ،يمثل أمراً أكثر تعقيداً مما كان عليه التفسير السابق لظاهرة " التعلق " . وأجرى " هارلو " تجاربه فى مختبر التدريبات فى جامعة " ويسكنس " فى الولايات المتحدة الامريكية وكانت تجاربه الاولى تسير كالاتى :

كانت صغار القردة تفصل عن امهاتها بعد ولادتها بست الى اثنتى عشرة ساعة ،ثم تربى بعد ذلك مع امهات بديلة مصنوعة إما من الاسلاك الثقيلة واما من الخشب المغطى بقماش وبرى ،وفى احدى التجارب كان كلا هذين النوعين من الامهات الصناعية موجوداً بالقفص ولكن احدهما فقط كان مزوداً بحلمة يمكن للقرد الصغير أن يرضع منها . فكان بعض القردة الصغار يرضع اللبن عن طريق الام المصنوعة من الاسلاك والبعض الاخر يرضع عن طريق الام المصنوعة من القماش الوبرى . ولقد وجد " هارلو " أنه حتى فى الحالات التى كانت فيها الام السلكية هى مصدر التغذية ،فإن القرد الطفل كان يقضى وقتاً أطول ملتصقاً بالام الوبرية .

من هذا استنتج " هاولو" ان حالة الارتياح الناتجة عن التلامس مع الام ،وليس الاقتران بالحصول على الطعام ،هو الذى يعمل على تقوية تعلق الطفل بها على الاقل فى حالة هذا النوع من القردة .

وفى دراسات تالية تبين " لهارلو " ان التغذية تؤثر فى درجة تعلق القرد الصغير أيضا فعندما زود صغار القردة بأمين كلتيهما مصنوعة من القماش الوبرى ،وكانت واحدة فقط هى التى تشكل مصدراً للتغذية ،إى أنها هى وحدها التى كانت مزودة بالحلمة ،وجد أنه فى مرحلة مبكرة من حياة القرد الصغير ،نما لديه تفضيل لتلك التى تمده بالغذاء عن تلك التى لا تؤدى هذه الوظيفة .

ووجد " هارلو " أيضاً أنه بالرغم من أن الارتياح الناتج عن التلامس مع الامهات الوبرية قد ساعد على نمو السلوك السوى لدى صغار القردة اثناء الطفولة ،الا أن القردة التى تربت مع امهات بديلة ،بشكل أو بآخر ،قد أصبحت فيما بعد غريبة الاطوار ،فقد لوحظ عليها الانغماس فى أنماط من القوالب السلوكية الشابتة كأن تعلق نفسها ،وتأخذ فى التأرجح للأمام وللخلف بشكل ثابت ،وبدون توقف .كذلك فقد غلب على سلوكها العدوان بلا هدف حيث كانت تهاجم غيرها من القردة أو تلحق الاذى بأنفسها وهكذا .

وعندما انجبت هذه القردة (التى ربيت بدون امهات) قردة وليدة كان سلوكها الامومى بعيداً كل البعد عن السلوك " الطبيعى " بالنسبة لتلك الحيوانات . فقد كانت هذه الامهات سلوكها يتسم بالامبالاة ،واما مسيئة لصغارها ،فالام غير المبالية لم تكن ترضع صغارها ،أو تريحهم او تحميهم ،ولكنها لم تكن تؤذيهم . اما الامهات المسيئة فقد كانت تعض صغارها بعنف ،أو تؤذيهم الى الحد الذى مات معه الكثير .

هذا الرفض والوحشية من ناحية الامهات (اللاتى ربيت بدون أمهات) ،أثار السؤال عما اذا كانت صغارها سوف تتعلق بها . والاجابة وفقاً لأسس التعلم ونظرية التعلم التى سبق الاشارة اليها هو النفى بالطبع ،فالام هنا مقترنة بخبرات مؤلمة وليس بخبرات سارة على ان "هارلو " قد وجد العكس حيث وجد أن صغار القردة لهذه الامهات كانوا لا يكفون عن السعى للحصول على التلامس مع امهاتهم ،فمرة بعد اخرى ،ولفترات طويلة ،يحاول القرد الصغير أن يتلامس مع امه ،ولا يكف عن ذلك بالرغم من طرده المتكرر فى كل مرة يقوم فيها بالمحاولة من جانب امه (القردة) .

ولعله مما يجدر ذكره فى هذا الصدد ان نعلم ان هذه المحاولات المتكررة قد انتهت " باعادة تأهيل " بعض هذه الامهات . فبعد عدة أشهر أصبح بعض هذه الامهات (التى تربت بدون امهات) ،أقل رفضا وأقل عقابا لابنائها . بل أن بعضها فى الواقع ـ قد اصبح اكثر حدباً على صغاره من الامهات العادية ،ولعل هذا يذكرنا بالدور الايجابى للطفل الآدمى إذا ما تغير سلوك الام معه .

** " التعلق " بين الاطفال الآدميين :

فى اجراء هذه التجارب على صغار الحيوانات ما يدعو الى التساؤل عن امكانية تعميم نتائج هذه الابحاث على التعلق لدى الاطفال الادميين؟وبعض الباحثين يعتقد أن هنـــاك استمرارية فى سلوك التعلق ابتداء من الثدييات الدنيا الى بنى الانسان . حيث يـــرى " جون بولبى (John Bowlby ١٩٦٩) أن التعلق استجابة أولية (فطرية) وظيفتها حماية الصغير من الافتراس . وهو يعتقد ـ تمشياً مع حقائق علم سلوك الحيوان ـ أن الطفـــل يسعى الى الالتصاق بالام عند وجود الام ،وعندما تكون هناك مواقف مخيفة . هذه الجهود من ناحية الطفل تثير بدورها استجابة الحماية من ناحية الام . وبالتالى يرى "بولبى" ان ايقاع العقاب على سلوك التعلق هذا لا يطفىء السلوك وإنما يقويه ويدعمه . ذلك ان العقاب يشكل تهديداً يدفع بالطفل بشكل أولى إلى أن يتعلق بامه .

وهذا الرأى الاخير من جانب " بولبى " اثار قضية التجريب العلمى لاثبات هذا الرأى او دحضه .

ولذلك قام كل من " شافر " و " امرسون (١٩٦٤ (Schaffer & Emerson بدراسة نمو عملية التعلق لمجموعة من الأطفال ابتداء من الاسابيع الاولى للولادة حتى الشهر الثامن عشر من العمر . وكان مقياس درجة التعلق فى هذا البحث هو رد فعل الطفل فى سبعة مواقف مألوفة فى الانفصال ،كأن يترك الطفل وحيداً فى الغرفة مثلا . وقد وجد الباحثان أن هناك فروقاً فردية واضحة بين الاطفال من هذه الناحية . فكان الاطفـــال يختلفون فيما بينهم مثلاً من حيث العمر الذى يبدأ فيه ظهور سمات التعلق ،وكذلك من حيث شدة تعلقهم ،كما وجد أن بعض الاطفال يتعلق بشخص واحد والبعض الاخر يتعلق بعدد من الاشخاص .

كما أوضحت الدراسة هذه أن التعلق يرتبط بسرعة استجابة الام لبكاء طفلهـا ، وبمقدار التفاعل الذى تبادر به ،فى حين أن مجرد وجودها (قياساً بالوقت الذى تمضيه الام مع طفلها) لا علاقة له بالتعلق .

على أن الذى يهمنا بشكل مباشر فى هذه الدراسة هو أنه أمدنا بشواهد واضحة علـى صدق الرأى القائل بفطريـة استجابة التعلق ، أى انها غير متعلمة . فقد وجد ان موضوع التعلق الرئيسى فى ٣٩٪ من الحالات المستخدمة فى هذه الدراسة يتمثل فى الشخص المسئول اساساً عن تغذية الطفل ورعايته الجسمية . كما وجد فى ٢٢٪ من الحالات أن موضوع التعلق لم يسهم بأدنى قدر من الرعاية الجسمية للطفل . أما الذى يبدو أنه كان المحدد الرئيسى لاختيار الطفل للشخص الذى يتعلق به ،فهو مقدار ما يلقاه الطفل من استثارة ،ومـــن انتباه من ناحية الكبير ،وليس من اشباع لحاجاته البيولوجية .

وعلى اساس من هذه النتائج قدم " شافر " و"امرسون " (Schaffer & Emerson وجهة نظر تتفق الى حد كبير مع وجهة نظر " بولبى" ومع تجارب " هارلو " وهى : أن الاطفال عندما يولدون تكون لديهم حاجة أولية وهى ان يكونوا بالقرب من اخرين من أفراد المجتمع ،وهذه الحاجة ليس لها شكل واحد محدد يفضله الرضيع عن غيره ،بل تظهر فى عدة أشكال تختلف من رضيع الى آخر ،ومن مرحلة نمائية الى مرحلة اخرى .

أما عن الفروق الفردية فى شدة التعلق فترجع الى امرين :

١ـ الامر الاول يتصل بالخصائص التكوينية للطفل : فالاطفال يختلفون فيما بينهم من حيث المستوى الأمثل للاستثارة التى يحتاج اليها كل منهم .

٢- والأمر الثانى يرجع الى عوامل بيئية ،أى الى الافراد المحيطين بهم أنفسهم ،فبعض هؤلاء يستطيع ان يقوم بدور المستثير للطفل اكثر من البعض الاخر .

والذى نفهمه من هذا هو أنه اذا وجد الطفل من يشبع له حاجته الى الاستثارة بالدرجة الاولى التى تتفق مع المستوى الامثل له ،فإن مثل هذا الشخص هو الذى يفضله الطفل عن غيره من حيث التعلق ،أى أن الطفل يتعلق بهذا الشخص بدرجة أشد من غيره ،ولا فرق هنا فيما إذا كان هذا الشخص هو الام ،أو المربية او الاب ،أو أى حاضن آخر غير هؤلاء.

بمفهوم آخر نجد أن بحث الطفل عن الثقة وحاجته الاولية الى الانتماء يوجه سلوكه الاجتماعى الى حد كبير . والتوجيه هنا هو فى اختيار الشخص الذى يشبع عند الطفل هذه الحاجة ،اذا كان لدى الطفل فرصة الاختيار لشخص يتعلق به .

** قيمة " التعلق " فى تنشئة الصغار :

من التجارب والنتائج التى سبق الاشارة اليها فيما يتعلق بسلوك " التعلق " عند صغار الادميين يتبين أن الطفل - كما اوضحت البحوث الحديثة - يميل بشكل اولى الى أن يكون قريباً بدرجة ما من أفراد مجتمعه ،وأن تعلقه ببعض هؤلاء الافراد ليس نتيجة لعملية تعلم ، لأن حاجته الى الدفء العاطفى المتمثل فى التلامس والاستثارة والانتباه من ناحية أفراد مجتمعه لا تقل أهمية عن حاجاته البيولوجية (الطعام والشراب والاخراج والبعد عن الألم) ،بل أن لها نفس الوظيفة فى المحافظة على بقائه كما لتلك الحاجات سواء بسواء ، والشخص الذى يستطيع أن يشبع حاجات الطفل المرتبطة بالتعلق بأن يحتضنه ويلاعبه ويحادثه ويبتسم له ويستثير انتباهه ،هو الذى يكسب تعلقه به أكثر من ذلك الذى يهتم فقط بتغذيته وتنظيفه ،ثم يضعه فى فراشه أو بين ألعابه ،ويجلس معه فقط كمراقب وليس كمشارك . وفى هذا الصدد يقول" لامب ١٩٧٣ Lamb " ان الفرصة التى تتاح للأب لكى يقوم فيها بالتفاعل مع الطفل لفترة قصيرة قد تكون مليئة بشحنة انفعالية قوية عندما يداعب الاب صغيره كل مساء ،قد تفوق فى تأثيرها الساعات الاطول التى تقضيها الام مع الطفل مهمومة مكدورة اثناء النهار .

** ردود الفعل المعاكسة عند عدم توافر الظروف المثلى لاشباع حاجة الصغار الى التعلق:

ما هو رد الفعل عند صغار الاطفال نحو الامهات اللائى يعملن أو تقسرهن الظروف عن عدم توجيه الظروف المثلى لاشباع حاجة صغارهن الى التعلق ؟ كيف نجيب عن هذا السؤال الحيوى فى حياة الصغار ،وخاصة وقد انتشرت فى الآونة الاخيرة بدائل الامهات من مربيات وحاضنات ،لذلك نعرض فيما يلى ما يتصل بهذا الموضوع من حيث :

* الفروق الفردية بين الصغار فى سلوك التعلق بالام :

فى بيان كيفية نمو الفروق الفردية فى سلوك تعلق الطفل بالام قامت كل من " مارى اينزوبرث و "سيلفيابل" ١٩٧٣ M. Ainsworth & S. Bell بدراسة عن هذا الموضوع ووجدت هاتان الباحثتان أن الاطفال يستجيبون بطرق ثلاثة نحو عودة امهاتهم بعد تركهن لهم مدة قصيرة :

١- فالبعض أظهر الرغبة فى ان يكون قريباً من امه .

٢- والبعض الاخر يسعى إلى التلامس مع أمه ،إلا أنه فى نفس الوقت كان يقاوم ذلك) .

٣- والمجموعة الثالثة لم يكن سلوكها ينم عن السعى الى التلامس مع الام عند عودتها واذا ما حاولت الام ذلك اشاح بوجهه عنها .

ولقد لاحظت الباحثتان ان امهات المجموعة الثالثة كن من النوع الذى لايحب التلامس

الجسدى مع أطفاله ،أو على الأقل لا يكترث له .

وفى تجارب اخرى قامت بها " كلارك ستيوارت ١٩٧٣ (Clarke-Stewart) وتجارب اخرى تمت من قبل " ستايتون واينزورت (١٩٧٣ Stayton & Ainsworth) وجد أن الام التى تحظى بقدر كبير من القدرة على التعبير عن الحب ،وكانت واضحة الاستجابة لمشاعر الوليد ووفرت له العديد من المناسبات التى تحقق له الاستثارة الاجتماعية كاللعب التى يلعب بها او اللعب معه فإن ذلك يساعد على تنمية نوع من" التعلق الآمن " لدى صغيرها Secured Attachment .

وعلى العكس ،إذا لم تستجب الام الى حاجات الصغير بشكل مستقر ثابت ،أو إذا استجابت بطريقة غير مناسبة ،كأن تهمل مطالب صغيرها مثلاً أو تؤجل استجابته لبكائه ،أو ما الى ذلك ،فتكون النتيجة نمو علاقة غير آمنة ،علاقة تكون فيها الثقة غير مستقرة ومزعزعه والتنبؤ منعدم ،والتوقع مثير للقلق . وهذا النوع من التعلق هو ما يسمى " بالتعلق القلق " (أو غير الامن Insecured Attachment) .

وقد عُرف " التعلق القلق " بأنه ذلك الذى يعبر عنه الطفل ببكائه الشديدة لمدة طويلة عندما يفصل عن امه ،ثم ببكائه مرة اخرى عندما يجتمعان . كما أن من سلوك الطفل " ذا التعلق غير الامن " أنه يبكى عندما يبعد عن الالتصاق العضوى بجسم الام ، اى عندما تضعه امه على الارض ،أو على الفراش او غير ذلك بعيداً عنها . ويؤكد الباحثان (ستالّيون واينزورت) هنا أن الطفل يكون قلقاً جداً على وجود الحاضن قريباً منه باستمرار .

أما " التعلق الامن " فقد عُرف بأنه ذلك الذى يظهر فيه الطفل ـ على العكس من سابقه ـ درجة أقل من الاحتجاج عند غياب حاضنه ،كما يظهر فرحة وترحيبه بالحاضن عندما يعود إليه . وهو الذى يبدو فيه الطفل ،كذلك ،وكأنه واثق من أن الحاضن طوع ذاته .

لذلك يتبين من هذه الابحاث أن هناك فروق فردية بين الاطفال من حيث نوع التعلق وشدته وأن هذه الفروق ترجع بدورها الى شكل التفاعل بين الحاضن والطفل فى الاشهر الاولى من حياة الطفل إى ابان فترة الرضاعة ،إلا أن الابحاث لم تقف عند هذا الحد من سلسلة الاحداث ،بل تعدتها أيضاً إلى أثر التعلق ذاته فى نمو الطفل مستقبلاً ،وفى النواحى المعرفية والانفعالية والاجتماعية عند الصغار .

* " التعلق " والاحساس بالثقة عند الصغار :

قد يبدو هناك التناقض (اسماعيل ـ ١٤٠٦هـ) من أن نقول : أن لعملية التعلق اثاراً هامة جداً ،بل وبعيدة المدى على امكانية الانفصال فيما بعد ـ أى على نمو الطفل مستقبلاً ككائن بشرى ذاتى التوجيه ـ ومع ذلك فليس فى هذه العبارة اى تناقض ،فإذا لم ينجح الطفل فى هذه الفترة فى تكوين علاقة انفعالية اجتماعية وثيقة وآمنة مع بعض افراد مجتمعه (الحاضن على وجه الأخص) ،فسوف يستحيل عليه ان يكون الثقة والامان اللازمين للنمو السوى فى المراحل التالية ذلك لأن سلوك التعلق فى العادة تخف حدته عندما يبدأ الطفل ينشغل فى نشاط انسانى اساسى آخر ،الا وهو استكشاف البيئة المحيطة به من ناحية والتفاعل الاجتماعى مع الاخرين من ناحية اخرى . وفى أثناء القيام بهذا السلوك يواجه الطفل (فى أعم الاحيان) بعض العقبات التى قد تكون جذابة ومخيفة فى نفس الوقت . وعليه فإن الطفل ـ إذا كان له ان يقوم بمثل هذا السلوك لابد من أن يتوافر لديه ، اولاً ،إحساس قوى بأن ضرراً ما لن يلحق به . هذا الاحساس هو فى ذاته نوع من الثقة

يمكن للطفل أن يكتسبه عـــن طريق علاقة وثيقة وآمنة مع الحاضن . كما لو كان الطفل يريد ان يحصل على تأكيد من الحاضن بأنه لن يتخلى عنه .

* التعلق والاستطلاع عند الصغار :

فى تجارب قام بها كل من راينجولد وايكرمان (Rheingold & Echerman ١٩٧٠) على أنه حال وضع الطفل وحيداً فإنه يبدى شعوراً بالخوف وانعدام الامن ذلك بقائه دون حراك أو عدم قيامه بأى سلوك استطلاعى الا فى القليل النادر ،وبدرجة صغيرة جداً ،إذا حدث . أما اذا كانت الام موجودة ،فإن الطفل يأخذ فى التجوال لمسافات ،سعياً وراء استطلاع الاشياء الغريبة ،ثم يعود إلى أمه لأنها بالنسبه له شاطىء الامان . وتتكـــرر هذه العملية ،ويذهب الطفل الى مسافات أبعد فأبعد ،قبل أن يعود إلى امه ليتزود منها الشعور بالامن .

من هذا فإن وجود الام والثقة التى يشتقها الطفل من هذا الوجود هى التى تجعل سلوك الاستطلاع ممكناً .

واضافة الى ذلك فقد أوضحت دراسات " ايثزوبرث " و " بل " (Ainsworth & Bell) أن درجة استقلال الطفل ومجال استطلاعه ترتبطان بشكل مؤكد بنوعية التعلق بالام.

فإذا كان تعلق الطفل بامه من النوع الآمن ،فإنه ،فى عامه الاول يكون مطمئناً تماماً اذا ما وضعته امه الى الارض أو فى حجرة غريبة للتجول فى تلك الحجرة واستطلاع ما بهذا المحيط الجديد .

أما الاطفال الذين لم يحصلوا من امهاتهم على تعلق آمن،فانهم يحتجون عندئذ بصوت عال ولا يكون لديهم عندئذ اى استعداد للقيام بنشاط مستقل .

* التعلق والنمو الانفعالى والاجتماعى :

"التعلق الامن" من شأنه تنمية الثقة عند الصغار ،وتنمية السلوك الاستقلالى والاستطلاعى وهذا بدوره يؤثر على النمو الاجتماعى والانفعالى بشكل عام من خلال تأثيره على الصغار من حيث شكل وطبيعة التفاعل مع الكبار أو الانداد وغيرهم .

وفى عالم الحيوان أوضحت دراسات حديثة على القردة ،قام بها" سوومى وهارلو "١٩٧٨ (Suomi & Harlow) وسوومى " سلسلة الاحداث الهامة التى تقود الطفل من تعلق آمن بامه الى النمـــــو الاجتماعى الانفعالى السوى لتلك الحيوانات عبر التفاعل المثمر مع أفراد القردة الاخرين.

لقد سبق أن قمنا بوصف السلوك غير السوى للقردة (الكبيرة) التى كانت قد تربت مع أمهات صناعية ،وحرمت من الاتصال بامهات طبيعية ،ولكن سمح لها بالاتصال بغير ذلك من افراد القردة سواء من الكبار ام ممن هم فى نفس السن . ولكن ماهو سلوك صغـــــار القردة التى تحرم من الاتصال بهؤلاء جميعاً : الام والانداد وغيرهما .أى تلك التى تربى فى عزلة تامة ؟ وما هو الدور الذى يمكن أن يقوم به التفاعل مع الانداد بشكل خاص من حيث النمو الاجتماعى والانفعالى السوى لتلك الحيوانات ؟ والى أى حد يتوقف هذا الدور على نوع التعلق بالام ؟

ولكن قبل عرض النتائج التى وصلت اليها هذه التجارب يمكن ان نصف فى صورة موجزة سلوك صغار القردة فى الظروف العادية حيث ان صغار القردة فى هذه الظروف تقضى أياماً معدودة فقط بعد ولادتها ـ فى اتصال جسدى لصيق مع امهاتها ،ثم سرعان ما تبدأ فى ترك

الامهات لتستطلع البيئة المحيطة بها . فإذا ما بلغت من العمر ثلاثة أشهر فإنها تقضى وقتا مع الرفاق أطول من ذلك الذى تقضيه مع امهاتها ،أو مع الكبار من القردة .ويستمر هذا السلوك طوال فترة الطفولة وعندما تكبر الصغار وتستقل بحياتها ،فصغار القردة تقضى معظم وقتها فى اللعب . ومما يثير الانتباه أن هذا اللعب يتضمن جميع العناصر تقريباً التى يتألف منها سلوك الكبار ،بما فى ذلك النشاط العدوانى والجنسى والتعاونى.

وفى هذا ما يشير الى ان صغار القردة تكتسب المهارات السلوكية الاجتماعية التى سوف تحتاج اليها عندما تكبر ،عن طريق اللعب مع الرفاق .

ولقد درس هذا التفاعل مع الرفاق دراسة تجريبية واسعة لبيان أهمية الدور الذى يلعبه فى سبيل التكيف الاجتماعى مستقبلا . ووجد من هذه الدراسات ان القردة الصغار التى تربت مع امهات طبيعية ،وحرمت فى ذات الوقت من العلاقات مع الرفاق لم تتعلم كيف تلعب مستقبلاً مع رفاقها من نفس السن ،بل اصبحت فى اعمارها التالية ذات سمات عدوانية شديدة . كذلك كان الحال ـ وبشكل أوضح ـ بالنسبة للقردة التى حرمت من الاتصال بالرفاق والامهات معا .

وإذا كان هذا هو الدور الذى يلعبه التفاعل مع الرفاق فى التكيف الاجتماعى مستقبلاً فما هو التأثير الذى يمكن أن تحدثه العلاقة مع الام فى طبيعة هذا التفاعل ؟ لقد كان هذا هو اساس من اسس التجارب التى تمت فى هذا المجال ،وحيث اوضحت هذه التجارب أن نمو الكفاءة الاجتماعية لدى القردة موضوع التجارب ،ليس هو مجرد وجود الرفاق ،بل هو طبيعة التفاعلات مع هؤلاء الرفاق . وأن طبيعة هذه التفاعلات تعتمد بدورها على نوع العلاقة بين الطفل وامه ،ومدى استقرار هذه العلاقة . فصغار القردة التى لا امهات لها مثلاً يكون سلوكها محاولة الحصول على اتصال بامهات ،الى الحد الذى لا تستطيع معه اقامة علاقات لعب عادية مع رفاقها ،بل تصبح بدلاً من ذلك عدوانية بشكل واضح .

وبالمثل ،إذا أبعدت الام الطبيعية عن جماعة الاطفال ،فإن اطفالها يتوقفون مباشرة عن التفاعل مع رفاقهم فإذا ما اعيدت الام الى الجماعة مرة اخرى تسرع اطفالها بالاتجاه نحوها عند اول بادرة بالتهديد ،كما انهم يميلون بشكل عام الى البقاء قريبا منها . وبالتالى فان الاطفال فى هذه الحالة يقل لعبهم مع رفاقهم .

كل هذه النتائج تدل على أن النمو الاجتماعى والانفعالى السوى لدى صغار القردة يسير فى سلسلة من الاحداث الطبيعية ،التى تبدأ من اقامة تعلق آمن بالام . لذلك فالتعلق يوفر للصغير الثقة التى يحتاج اليها لاستطلاع البيئة ،والاشتراك الفعلى فيها وبشكل سوى فى علاقات مع الرفاق وعن طريق التفاعل مع الرفاق وغيرهم يتعلم القرد الصغير تدريجياً المهارات السلوكية اللازمة اجتماعياً بكفاءة فيما بعد .

** قلق الانفصال عند الصغار :

ما سبق الاشارة اليه من تجارب تمت على صغار القردة وعلى اثر التعلق الامن وغير الامن على النمو الانفعالى والاجتماعى فى حياة الصغار من القردة ،كان موضع تساؤل علماء النفس ،على مدى توافق هذا السلوك بين صغار الادميين ،وعلى أثر التعلق بالعلاقات المبكرة فى حياة الطفل وعلى نموه الانفعالى والاجتماعى .

والواقع ان هذا التطبيق على صغار الادميين تم تحت ما يعرف " بقلق الانفصال "

فبعد أن يكون الطفل قد تعلق بالحاضن بدرجة عالية فانه لا يرتاح لفراقه ،بل يبدى احتجاجه على ذلك بصورة او بأخرى ،وقد يشعر بالكآبة ويأخذ فى البكاء ،او يهتاج ، محاولا التشبث بالحاضن او اللحاق به ،أو غير ذلك من أنماط السلوك التى يقال انها تعكس " قلق الانفصال Anxiety of Separation

وطبيعى الا يبدأ هذا القلق الا بعد أن يكون الطفل قد بدأ يتكون لديه " مفهوم دوام الشىء" اى ان الاشخاص الذين يغادرونه يظلون موجودين بالرغم من غيابهم عن بصره والا فكيف يبكى الطفل من أجل شىء يزول بزوال صورته عن عينيه ؟ . ولذلك فان هذا القلق لا يبدأ عند الطفل قبل بلوغ الشهر التاسع من عمره على وجه التقريب ،وفى هذه الفترة أيضاً يكون الطفل قد استطاع أن يميز وجوه الاشخاص الذين تعلق بهم عن غيرهم من الاشخاص ،وغالباً ما يكون هؤلاء هم الابوين أو الحاضن بشكل عام .وباختصار فإن قلق الانفصال له علاقة بالنمو المعرفى للطفل كما أن له علاقه بنموه الانفعالى والاجتماعى .

وإذا كانت بداية الفترة الحرجة لقلق الانفصال هى عند سن التسعة أشهرفمتى تكون نهايتها ؟

الواقع أن الطفل عند نهاية السنة الثانية تقل لديه حدة ردود الافعال التى تصدر عنه عند مغادرة الحاضن له . وقد يعزى ذلك إلى أن قدرات الطفل العقلية فى هذه السنة تكون قد نمت بحيث تمكنه من أن يحتفظ بصورة ذهنية ثابتة عن الاشياء فى حالة غيابها كما أنه يكون قد تعلم من خبراته السابقة أن الحاضن عندما يتركه فليس يعنى ذلك الى الابد وانما الى عودة قريبة ،اذا كانت فترات الانفصال قصيرة .

واذن فالشواهد تنبىء بفترة حرجة يكون فيها الانفصال اشد اثارة للقلق عند الطفل من غيرها من الفترات ،ذلك أن الطفل فى هذه الفترة يكون ـ بطبيعة تكوينه النفسى ـ اكثر حساسية لمواقف الانفصال ،ولم يتم تحديد هذه الفترة إستنتاجاً فحسب ،بل اثبتت الدراسات العلمية صحة هذه الاستنتاجات . فقد أجرى " يارو " (١٩٦٤ Yarrow) ملاحظات على مائة طفل تم انتقالهم من امهاتهم الطبيعية الى امهات بالتبنى ،ووجد ان الاطفال الذين انفصلوا عن امهاتهم الطبيعية قبل سن ستة اشهر لم يظهر عليهم سوى الحد الادنى من درجات التوتر . لم يظهر عليهم الغضب او الكآبة لمدة طويلة نتيجة ذلك الانفصال ،طالما كانت حاجاتهم البيولوجية والنفسية مشبعة . فالاطفال فى هذه المرحلة يمكنهم أن يتكيفوا مع الموقف الجديد (الانفصال لمدة طويلة) بدرجة كبيرة من السهولة .

اما الاطفال الذين انتقلوا فى سن ثمانية اشهر أو تزيد فقد اظهروا جميعاً ردود أفعال سلبية كالغضب الشديد ،والانزواء وما الى ذلك .

هذه الردود السلبية توحى بأن فصم علاقاتهم العاطفية السابقة كان شديد الوقع عليهم . على أن ذلك لا يمنع من الاستنتاج أن هؤلاء الاطفال سوف يستطيعون فى النهاية تكوين علاقات جديدة مع ابائهم بالتبنى . الا أن المهم هنا هو ما يمكن ان تتركه هذه الصدمة من آثار نفسية مستقبلاً .

ويقرر " يارو " على اساس ملاحظاته هذه " أن اشد الاوقات حساسية (من حيث قلق الانفصال) هى تلك الفترة التى يكون الطفل فى اثنائها آخذاً فى تكوين علاقاته العاطفية بشكل ينحو نحو الاستقرار والثبات . وتقع هذه الفترة على وجه التقريب فيما بين الشهر السادس من العمر ونهاية السنة الثانية . وأن فصم العلاقة فى اثناء هذه الفترة

الحساسة مع من يمثل الام قد يترتب عليه ،فيما يبدو ،حرجاً كبيراً .

والواقع أن فترات التكوين تعتبر دائماً فترات حرجة بالنسبة لاية ظاهرة نمائية ، سواء فى النواحى البيولوجية ام فى النواحى النفسية . ويحتاج النمو ،فى هذه الفترات إلى حد أدنى من الظروف البيئية الملائمة كى يسير على احسن وجه ممكن . وبالعكس إذا لم يتوفر هذا الحد الادنى من الظروف البيئية فى هذه الفترات ،فقد يؤدى ذلك الى اخلال بالنمو ،قد لا يمكن علاجه فيما بعد (اسماعيل وغالى ـ ١٩٨١) .

والفترة فيما بين الشهر السادس تقريبا الى نهاية السنة الثانية تمثل الوقت الذى يكون فيه الطفل متورطاً الى اقصى حد فى تنمية علاقة مركزة مع فرد معين (أو افراد معينين) من الراشدين . وعلى ذلك فالمتوقع أن يسبب اى فصم عنيف لهذه العلاقة إثارة للقلق والشك عند الطفل بدرجة كبيرة . اما إذا سُمح لهذه العلاقة ،بان تنمو فى هذه الفترة فى ظروف مواتية ،فإن ذلك يحصن الطفل ضد اية هزات مستقبلية فى علاقاته الاجتماعية عموماً . ذلك أنه يجد فى تلك العلاقة الايجابية الاولى نمطاً يقيس على اساسه علاقاته التالية .

وان هذا التحليل للعلاقة الوظيفية بين ظروف الطفل الوجدانية ،وردود الافعال التى تصدر عنه عند ترك الكبير اياه فى هذه الفترة الحرجة من نموه الانفعالى ،ليوضح لنا الكثير عما نسميه "بقلق الانفصال ".

يتضح لنا انه ليس مجرد مرور الطفل بفترة زمنية معينة هى السبب فى حساسيته الزائدة للانفصال ،ولكن لان هذه الفترة هى فترة " تكوينية " للعلاقات العاطفية المركزة مع الكبير . وعلى ذلك فإن تفهمنا لقلق الانفصال لا يتم إلا اذا اخذنا فى الاعتبار عدة متغيرات ،بعضها ـ بالطبع ـ (وربما اهمها (اسماعيل ـ ١٤٠٦هـ) هو ما يتصل بالتاريخ الماضى للطفل فى علاقته بالكبير ،والبعض الاخر يتعلق بالظروف التى يتم فيها موقف الانفصال نفسه . وعلى هذا الاساس فإنه من المتوقع وجود فروق فردية كبيرة فى هذا المجال.

وفيما يتعلق بالتاريخ الماضى للطفل فى علاقته بالكبير ،اوضحت دراسة " اينزويرث وبل (١٩٧٣ Ainsworth & Bell) ان الاطفال الذين يأتون من بيئات مختلفة من حيث العلاقات الارتباطية مع الام ،تختلف ردود افعالهم عندما تعود اليهم امهاتهم بعد غياب لمدة قصيرة ،فقد وجدت هاتان الباحثتان أن الاطفال يستجيبون فى هذا الموقف بطرق ثلاثة مختلفة :

١ـ فالاغلبية ترغب فى أن تكون قريبة من امهاتها ،وقد فسرت الباحثتان هذه الاستجابة كدليل على وجود تعلق " آمن " مع الام .

٢ـ والفئة الثانية ظهر التناقض فى تعلقها (Ambivlant) حيث كانت تسعى الى الاقتراب من الام ،وفى نفس الوقت كانت تقاوم ذلك .

٣ـ والفئة الثالثة اطلق عليها المتجنبة فكانت اما انها لم تسع الى الاقتراب من امها عند عودتها ،واما أنها (حتى اذا اقتربت هذه منها) تتحول موجهة بصرها بعيدا عنها .

هذا وقد لاحظ الباحثان أن امهات هؤلاء المتجنبين لم يكن يحببن ان يتلامس جسديا مع اطفالهن او كن لا يكترثن لذلك .

كذلك وجد أنه اذا نشأ الطفل فى ظروف تتوفر له فيها الرعاية من اكثر من حاضن

له به الفة ،فان الطفل فى هذه الحالة يكون مستعداً لاقامة علاقة حب وتعلق مع هؤلاء ، جميعاً . وفى هذه الحالات يكون الطفل محصناً ضد فصم العلاقات العاطفية الامنة مع الام، بالرغم من تكرار تركها اباه لمدد قصيرة . أوضحت ذلك الدراسات التى قام بها " ينومان ونيومان Newman & Newman ١٩٧٨) على الاطفال الذين يوضعون تحت رعاية المراكز الامريكية للرعاية النهارية ،وكتلك التى قام بها ليدرمان Leiderman ١٩٧٤) على الاطفال الافريقيين الذين تربوا مع اكثر من حاضن . كما يوضح نفس الشىء ايضا عبر الملاحظات الخاصة باطفال مجتمعاتنا العربية الذين ينشأون فى " الاسرةالكبيرة" اى تلك التى تتكون من الجد والجدة والاباء المتزوجين واطفالهم ،حيث يقيم الطفل علاقاته العاطفية ،ليس فقط مع الاباء ،بل ايضا مع الاجداد والانداد والاعمام والخالات وغيرهم (اسماعيل ـ ١٤٠٦هـ) .

والى جانب انماط التعلق كمتغير له تأثيره فى قلق الانفصال ،هناك ايضا الظروف الراهنة المحيطة بالطفل عند الانفصال . فقد وجد ان قلق الانفصال يزداد عند الطفل اذا تركه الحاضن فى الوقت الذى يكون فيه مريضاً ،او عندما يكون فى مكان غير مألوف لديه ،أى فى مكان مختلف تماماً عن المنزل الذى تعود أن يعيش فيه . وقد اوضحت ذلك الدراسات التى قامت بها اينزورث وبيل وستربوث Ainsworth Bell & Straytoh وكذلك تلك التى قام بها " يارو " و "بيدرسون (١٩٧٢ Yarrow & Pederson)

كذلكوجد أن طول مدة الانفصال نفسها لها تأثير على شكل ردود الافعال التى تصدر تجاهه عن جانب الطفل . فقد اجرى بولبى ١٩٦٤ Bowlby وزملاؤه دراسة على تطور الاساليب السلوكية التى تصدر ،كرد فعل للانفصال هن جانب اطفال تتراوح اعمارهم فيما بين خمسة عشر شهراً او ثلاثين شهراً ،ووجد أن هذه الاساليب تسير فى التتابع الاتى :

١ـ سلوك الاحتجاج : المتمثل فى البكاء والصياح ومحاولة ملاحقة الحاضن المغادر . وأحياناً التحبب بشكل لايمكن تهدئته عند الذهاب الى الفراش ويكون هذا النمط السلوكى قوياً فى الايام الثلاثة الاولى من الانفصال .

٢ـ سلوك اليأس : حيث يقل الاحتجاج ويصحب ذلك الحزن والانزواء ،فبعض الاطفال يصبح عدوانياً ويرفض عروضاً للصداقة ،أما البعض الاخر فيظهر التعلق بشكل يخلو من الفرح وبدون تمييز نحو حاضن معين يقوم بدوره مؤقتاً .

٣ـ سلوك التباعد : حيث يلاحظ عندما يجتمع الشمل مرة اخرى بين الحاضن والطفل ،فان الطفل يتحول عن الحاضن كلما اقترب منه الحاضن . ويكون الطفل فى هذه الحالة هادئاً وان كانت عيناه تبدو مليئة بالدموع ،كما يبدى الطفل جزعاً شديداً من اى احتمال للفراق مرة اخرى .

** قلق الانفصال عند ابتعاد الحاضن كلية من حياة الصغير :

ماذا لو اختفى الحاضن من حياة الطفل ؟ إن اوضح مثال لهذه الحالة هم الاطفال الذين يودعون بالمؤسسات . ويقصد بالمؤسسات هنا ملاجىء رعاية الايتام التقليدية ،وبعض اقسام مستشفيات الامراض العقلية ،حيث ينعدم كلية وجود حاضن ثابت مستقر للطفل . وهنا يتضح اقصى ما يمكن ان يصل اليه الاثر التدميرى لغياب الحاضن . إذ تشير التقارير التى تصف هؤلاء الاطفال ،إلى أنهم لا يظهرون فقط برودا فى استجاباتهم الانفعالية أو انعدام هذه الاستجابات كلية نحو الاخرين ،بل يظهر عليهم " الى جانب ذلك " تخلفاً فى جميع النواحى الاخرى للنمو ،كالنمو الحركى واللغوى والمعرفى والذكاء العام .

وقد يرجع بعض الباحثين هذه النتائج السلبية الى عدم وجود اية آثارة انفعالية فى الحياة الاجتماعية للصغير الا ان المحتوى الرئيسى الذى يبدو نقصانه فى حياة الطفل النفسية فى هذه الفترة هو غياب علاقة مستمرة مع حاضن . فانعدام وجود الام ،أو الاب او الحاضن الذى يمثلهما فى حياة الطفل النفسية ،يحرمه من الشعور بالثقة والامن اللازمين له فى البيئة . وعندما ينعدم وجود هذا الاساس من الثقة ،لايستطيع الطفل ان يبنى علاقة مع الاخرين ،او يستكشف او يختبر ،او يجاهد فى سبيل الوصول الى مستويات النمو المتوقعة منه فى هذه المرحلة . ولقد اوضحت الدراسات بالفعل ان زيادة القدرة من الاتصالات التى تقوم بين اطفال المؤسسات وبين الحاضن من الكبار ،تؤدى الى تحسين نوع التفكير عند هؤلاء الاطفال ،كما تؤدى الى تحسين علاقاتهم الاجتماعية (دراسة سالتز ١٩٦٣) . من هذا يتبين ان قلق الانفصال يتمثل فى :

١- أن الفترة من سن ستة اشهر الى نهاية السنة الثانية من حياة الطفل تعتبر فترة شديدة الحساسية من حيث انفصال الحاضن عنه . اذ يكون الانفصال فى هذه الفترة اشد وقعا على الطفل منه فى اى فترة اخرى .

٢- يتحدد قلق الانفصال بنوع وطبيعة تعلق الطفل بالحاضن : فاذا كان التعلق من النوع الامن فان ذلك قد يساعد الطفل على ان يتعلم تدريجيا ان غياب الحاضن قد تعقبه عودته . وهنا كيون الطفل اقل خوفا من فقدان الحاضن عندما يعيب ،اذ يعلم ان العودة امر متوقع . اما اذا كان التعلق من النوع غير الامن فان ذلك يساعد على زيادة قلق الانفصال عند الطفل لعدم ثقته اصلا فى استجابة الحاضن لحاجاته الاساسية .

٣- يتحدد قلق الانفصال بطبيعة العلاقات العاطفية التى يقيمها الطفل مع الوجوه الاليفة المحيطة به . فاذا اعطى الطفل الفرصة لاقامة اكثر من علاقة مع افراد الاسرة الاخرين (او من يقوم مقامهم من المحيطين به) فان ذلك يساعده على الانفتاح على اشكال متنوعة من الرعاية ،مما يعوضه نسبيا عن غياب الحاضن الاساسى وبالتالى يخفف من حدة قلق الانفصال .

٤- يتحدد قلق الانفصال بالظروف التى تحيط بموقف الانفصال ،كأن يكون الطفل مريضا او كأن يحدث الانفصال عند وجود الطفل فى مكان غير مألوف .

٥- يتحدد موقف الانفصال بطول المدة التى يغيب عنه فيها الحاضن .

٦- غياب الحاضن عن حياة الطفل كلية فى هذه المرحلة ،تكون له آثار مدمرة على نموه فى جميع النواحى الاخرى ،وليس فقط على نموه الاجتماعى الانفعالى مستقبلا .

..... وبعد لعل هناك تساؤل عما يمكن أن يفيدنا هذا فى تنمية النشء فى مجتمعاتنا الاسلامية والعربية ،حيث نحتاج فى حياتنا الاجتماعية إلى تماسك البناء الاجتماعى الاسرى بالدرجة الاولى ،والذى يتبعه فى مستقبل تنشئة الصغار تماسك اجتماعى مع المجتمع الاكبر الذى يعمل فيه الشباب .

ولا شك ان العلاقات الاسرية القائمة على تمثل دور الام ودور الاب ودور الابناء والعلاقات المتبادلة بين افراد الخلية الاولى الاساسية فى المجتمع .. هذه اذا كانت سوية فى كمها وكيفها فان الترابط والتراحم بين افراد هذه الخلية من شأنه ان يحدث سوية فى سلوك الابناء عندما تبدأ الاستقلالية فى حياتهم ويصبحون قادرين على القيام بادوارهم فى الحياة الاجتماعية .

* الشعور النفسى تجاه الابناء فى الاسلام :

القصد بالشعور النفسى حسب نظرة الاسلام هو ابراز ما أودع الله سبحانه وتعالى فى قلب الابوين من حب وعاطفة ورحمة نحو اولادهما ،والحكمة فى ذلك هى استهجان عادات جاهلية بغيضة استحكمت فى بعض النفوس المريضة ،فى النظرة السيئة الى البنات او عدم ممارسة الواجبات الوالدية تجاه الابناء واظهار فضيلة المثوبة والاجر لمن يصبر على فقد الولد ويتجلد لفراقه .

ومن المعلوم انّ قلب الابوين مفطور على محبة الابناء ،ومتأصل بالمشاعر النفسية والعواطف الابوية لحمايتهم ،والرحمة والشفقة عليهم والاهتمام بأمرهم .

ولولا ذلك لانقرض النوع الانسانى من الارض ،ولما صبر الابوان على رعاية اولادهما ولما قاما بكفالتهم ،وتربيتهم ، والسهر على امرهم والنظر فى مصالحهم .

ولا عجب ان يصور القرآن الكريم هذه المشاعر الابوية الصادقة ،اجمل تصوير ،فيجعل من الاولاد تارة زينة الحياة :

" المال والبنون زينة الحياة الدنيا " (سورة الكهف : آية ٤١)

ويعتبرهم اخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم :

" وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا "

(سورة الاسراء : آية ٦)

ويعتبرهم ثالثة قرة اعين إن كانوا سالكين سبيل المتقين :

" والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما "

(سورة الفرقان : آية ٧٤)

الى غير ذلك من هذه الايات الكريمة التى تصور عاطفة الابوة نحو الابناء ،وتكشف عن صدق مشاعر ومحبة الابوين تجاه الابناء وقوة العاطفة الفياضة التى أودعها الله تعالى فى قلب الابوين نحو الابناء من حيث تربيتهم ،ورعايتهم ،والاهتمام بشؤونهم ومصالحهم ،والتى لا تعدوها عاطفة " وتلك فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .."

ومن المشاعر النبيلة التى أودعها الله فى قلبى الابوين ،شعور الرحمة بالاولاد والرأفة بهم ،والعطف عليهم ،وهو شعور يؤدى الى تقارب بين الابناء والاباء من حيث اعدادهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية صالحة .

والقلب الذى يتجرد من خُلق الرحمة ،يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية ،والغلظة ، ولا يخفى ما فى هذه السمات من ردود فعل فى انحراف الاولاد .

لهذا نجد شريعتنا الاسلامية الغراء قدرسخت فى قلوبالاباء خلق الرحمة ،وحضت الكبار من آباء ومعلمين ومسؤولين على التحلى بها ،والتخلق باخلاقها .

واهتمام الرسول صلوات الله وسلامه عليه بموضوع الرحمة ،وحرصه الزائد على تحلى الكبار بهذا الخلق الكريم ، والشعور النبيل :

وروى ابو داود والترمذى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ،ويعرف حق كبيرنا"

وروى البخارى فى الادب المفرد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل ومعه صبى ،فجعل يضمه اليه ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم

أترحمه ؟ قال : نعم ،قال : فالله ارحم بك منك به ،وهو أرحم الراحمين " .

وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى طفلا يحتضر ،وأوشكت ان تفيض روحه ،فاضت عيناه بالدموع حزناً وعطفاً على الصغار ،وتعليماً للامة فضيلة العطف والرحمة .. روى البخارى ومسلم عن اسامه بن زيد رضى الله عنهما قال : أرسلت بنت النبى صلى الله عليه وسلم الى ابيها ان ابنى قد احتضر اى حضرته مقدمات الموت فاشهدنا ،فارسل عليه الصلاة والسلام يقرئ السلام ،ويقول : ان لله ما أخذ وله ما اعطى ،وكل شئ عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب " . فأرسلت اليه تقسم عليه ليأتينها ،فقام ومعه سعد بن عباده ومعاذ بن جبل وابى بن كعب ،وزيد بن ثابت ،ورجال ،رضى الله عنهم ،فرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ،فأقعده فى حجره ،ونفسه تقعقع (أى تتحرك وتضطرب) ففاضت عيناه ،فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ فقال : " هذه رحمة الله تعالى فى قلوب عباده " . وفى رواية : " جعلها الله فى قلوب من شاء من عباده ،وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " .

لهذا فإن ظاهرة الرحمة إذا حلت قلب الابوين ،وترسخت فى سلوكها ،قاما بما يترتب عليهما من واجب ،وأديا ما عليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية ، وواجب المسؤولية ،الا وهم الابناء .

* غياب دور الام وبدائل الامهات فى تنشئة الصغار :

من الظواهر التى طرأت على مجتمعاتنا العربية فى الوقت الحاضر غياب دور الام فى تنشئة الصغار . وقد حدث فى الاونة الاخيرة أن كان التطور الاقتصادى فى مجتمعاتنا العربية سبباً فى تغيير البنية الاجتماعية ،نتيجة لزيادة الاعتماد على المربيات والحاضنات فى تنشئة الصغار ،وحيث قل الدور الفعال من قبل الاسرة نحو الابناء وخاصة دور الام فى رعاية اطفالها .

بل إن التطور الاقتصادى وزيادة فرص التعليم أمام الذكور والاناث فى المجتمعات العربية اتاح فرصاً كثيرة امام المرأة فى الدخول الى سوق العمل ومشاركتها العمل بجانب الرجال ،وكان من نتيجة ذلك زيادة الحاجة الى رعاية الاطفال بالنسبة للامهات العاملات واعتمادهن على المربيات والحاضنات اللاتى فى معظم الأحيان يأتين من دول وثقافات تخالف الثقافة العربية والعقيدة الاسلامية ،بل والاعتماد الكامل فى بعض الأحيان على رعاية الصغار من قبل هؤلاء المربيات والحاضنات ،وخاصة عند تعذر قيام الاقارب بذلك بالاضافة الى قصور خدمات رعاية الطفولة فى معظم المجتمعات العربية . ولا نود ابراز القصور الناجم عن ترك الصغار بين أيدى ،قد لا يكون لديها ادنى المسئوليات فى تنشئة الصغار أو التعامل معهم او تنمية الجوانب الدينية والخلقية والاجتماعية اذ أن هذا القصور ظهر فى العديد من الدراسات التى اهتمت بابراز الجوانب السلبية فى استخدام المربيات والحاضنات الأجنبيات فى تنشئة الابناء فى المجتمعات العربية .

وما يعنينا فى هذا المقام أن دور الام وعاطفة الامومة تجاه ابنائها الصغار لا يتماثل كماً وكيفاً فيما تؤديه المربيات أو الحاضنات او حتى اقارب الامهات او الاباء كالجد أو العمة أو الخالة عند التعامل مع الصغار .

بل ان الام العاملة او الام التى تترك مسئولية تنشئة صغيرها بين يدى مربية ، وتعود بعد ساعات لتحتضن صغيرها وتبثه شوقها الزائد وعاطفتها الجامحة ،تحدث ارباكاً

فى سلوك الصغير من ناحية التعلق الزائد بها وقلق الانفصال عند الابتعاد عنها ،ثم تتكرر هذه المواقف الامر الذى يحدث ارتباك فى عملية التطبيع الاجتماعى وتعلق الصغير بأمه او بمن حوله .

اذن ... ما هى الرعاية الاجتماعية تجاه هذا الأمر الحيوى فى تنشئة الصغار ؟ اى تجاه السلوك الانفعالى والاجتماعى الخاص بظاهرة التعلق وما يرتبط بها من قلق الانفصال فى حياة الصغار .

** الرعاية الاجتماعية المطلوبة فى المجتمعات العربية :

هناك الاهمية البالغة لرعاية الام نحو النمو النفسى لصغيرها . فالرضيع يحب أن يحاط بالدفء والحنان الامومى ،مما يثبت العاطفة السائدة والعلاقة والرابطة الوثيقة التى تمنحها الام او بدائل الامهات . وبصفة دائمة ،وحيث يجد الرضيع مع هذه العلاقات امتاعا لنفسه واشباعا لحاجاته .

ومن المعروف ان الانفصال الوقتى المتكرر للام وغياب دور الام كما يحدث فى حالات الامهات العاملات ،قد يؤدى الى نتائج سلبية قاسية فى شدتها فى النمو الانفعالى والاجتماعى عند صغار الاطفال .

والتساؤل الخاص الذى نطرحه فى مجتمعاتنا العربية فى الاونة الاخيرة هو عما اذا كان استمرارية وجود الام يمثل امراً حيوياً للنمو السوى لصغيرها .

إن هذا التساؤل مرجعه كثرة عدد الامهات العاملات فى مجتمعاتنا العربية فى الوقت الحاضر ،بل وكثرة المربيات اللاتى يقمن فى بعض الاحيان باشراف كامل على الصغار وحتى يجيب عن هذا التساؤل نعرض فى صورة مختصرة بعض نتائج الدراسات النفسية التى تمت فى شأن رعاية الامهات لابنائهن أو ما يقابلها من رعاية بدائل الامهات للابناء .

١- فى ١٩٥٢ قدم بولبى Bowlby تقريرا الى منظمة الصحة العالمية WHO عن الصحة العقلية للاطفال الذين يعيشون فى ملاجىء الرعاية الاجتماعية ودور الايتام (الاطفال الذين لا بيوت لهم) وحمل التقرير عنوان"رعاية الام والصحة العقلية " وافاد مضمون التقرير بأن الرضيع والطفل فى حاجة لمشاعر الدفء والعلاقة الوثيقة المستمرة التى تمنحها الام (أو البديل الدائم للام حيث أن ذلك من آثارها الاشباع والثقة لحاجات الصغير .

٢- فى عام ١٩٥٤ لاحظت مارجريت ميد Margaret Mead عند قيامها بدراسات مقارنة لثقافات متعددة ان الاطفال الذين تقتضى ظروف تنشئتهم التواجد فى وسط اجتماعى يضم العديد من الافراد الذين تتسم سلوكهم بعلاقات الود والدفء العاطفى بينهم وبين الصغار فإن هؤلاء الاطفال يكونوا الاحسن توافقاً .

كذلك تشير الدراسات الاجتماعية الى ان الاطفال الذين يكونون علاقة قوية بفرد واحد كهؤلاء الذين تقتصر علاقاتهم على امهاتهم فقط وحيث تكون الحماية الزائدة من الامهات والاحتضان الزائد لا يستطيعون ان يقيموا علاقات حميمة فى كبرهم الا مع عدد محدود من الافراد .

وعلى العكس من ذلك فإن الاطفال الذين ينفصلون مؤقتاً عن امهاتهم ولكن يمنحون الحب والاهتمام ،والرعاية من افراد اخرين ،يمكنهم بالفعل أن يصبحوا أكثر سماحة واكثر حباً للاخرين ،وأكثر اعتماداً على النفس .

٣- فى عام ١٩٧٣ اشار بولبى Bowlby فى دراساته عن اطفال المؤسسات أنه ليس بالضرورة وجود آثار ضارة بالنسبة لغياب دور الام بين اطفال المؤسسات طالما أن القائمين فى هذه المؤسسات يبذلون اقصى طاقاتهم للقيام بدورهم الانسانى تجاه اطفال هذه المؤسسات .

هذا الى أن من ملاحظات " بولبى " أن الانفصال الوقتى أو المتكرر للام وغياب دور الام وخاصة الام العاملة له نتائج سلبية فى حياة الصغار .

٤- وعن أثر التجمعات الخاصة بالاطفال الصغار فى دور الحضانة ووجد أكثر من طفل فى تجمع اطفال فى احدى الدور التى انتشرت فى الاونة الاخيرة وجد بريسكوت Prescott فى ١٩٧٣ ان استجابة الصغير لرفاقه وانداده دون الكبار (المشرفين على دور الحضانة) وفى غياب دور الام ،هذه الاستجابات تكون نتيجة التفاعلات التى يمارسها الطفل اثناء الرعاية البديلة والتى غالباً ما يعانى فيها من الشعور بالاحباط والرفض والانزواء . وقد تكون الاستجابة مخالفة عند الصغار إذا قلت مجموعات الاطفال وكان تواجدهم فى أحد منازل الامهات .

ومن المعروف أنه حال قلة عدد الاطفال يمكن زيادة انتباه الحاضنات الى الصغار عما يقلل من مشاعرهم السلبية والتى غالبا ما تتسم بالعدوانية فى مثل هذه التجمعات وحتى فى السن المبكرة فى الطفولة .

٥- فى ١٩٧٤ اشارت هيلين بى Helen Bee أن اطفال الامهات اللائى يعملن ،يعانون من عدم الاستقرار الاسرى وفى حال الاسر المستقرة المتماسكة والتى تخرج فيها الام حتى للعمل ،فإن الاطفال يكونون أكثر ثباتاً فى حياتهم الاجتماعية بينما عند عدم توافر الاستقرار ووجود بدائل الامهات اللائى يتغيرن من فترة الى اخرى وعدم الثبات فى التعامل مع الصغار من افراد دائمين يؤدى الى الاتكالية فى سلوك الصغار حيث يعانى هؤلاء الصغار من قلق الانفصال عن الام . هذا واضافت دراسات هيلين بى الى أن اطفال الاسر المفككة والتى يحدث فيها غياب لدور الام او دور الاب ،فان احتمال انحراف الاطفال الى الجناح أكبر .

٦- فى ١٩٧٥ قامت تيرانس مور Terence Moore بدراسة تبين منها التمسك بالمعايير السلوكية التى يقرها الراشدون من قبل الاطفال (وخاصة الذكور) والذين تتولى امهاتهم الاشراف على تنشئتهم ورعايتهم طول الوقت وحيث يتسم سلوك الاطفال بالضبط الذاتى والرغبة فى التحصيل الدراسى . بينما الاطفال الذين تحت اشراف بدائل الامهات تتسم سلوكهم بالعصيان وعدم الاكتراث برأى الكباربل والانقياد مع سلوك الرفاق والانداد.

.... اذن ما هى الرعاية الاجتماعية المطلوبة ؟

ان الواجب الاساسى للام هو وجودها المستمر بين صغارها ،وهو أمر لا غنى عنه للتنشئة الصالحة وحيث يشب الصغار على العقيدة الاسلامية والتمسك بمبادئها واحترام القيم والعادات والاتجاهات الاجتماعية السليمة . اى ان يكون سلوكهم سوياً .

لذلك من واجبنا الاسلامى بصفة خاصة ومن واجبنا الاجتماعى والنفسى نحو الصغار ان يكون :

١- الام هى المصدر الاول للرعاية الاجتماعية والنفسية لصغارها .

٢- اذا غاب دور الام لاى سبب قهرى ،فإن الحاضن البديل لابد من توافر شروط فيه هو استمرارية اشرافه تحت رعاية وتوجيه الابوين ،وأن تكون الحاضنة تألف حياة الصغار ولا

تنفر منها ،وان تتقبل الصغير بنفس الاسلوب الذى تتقبله الام ،وان تقوم بدور الام ، (لحد ما) من حيث اشباع الحاجات الاساسية العضوية والرعايـــة النفسية والاجتماعية والتى تأتى فى المرتبة الاولى قبل الاشباع العضوى .

٣- كون الطفل يتعلق بفرد واحد فى تنشئته قد يحدث الاتكالية فى سلوكه ،وخاصة اذا كان سلوك الكبير مع الصغير يترتب عنه عدم اعطاء الحرية لتصرف الصغير والتدخل فى الصغائر والكبائر الذى تواجهه وعدم اعطائه الاستقلالية فى النمو من حيث انه اذا اتيحت الفرصة امام الطفل ان تكون تنشئته اجتماعية اكثر منها ضيقة ، بمعنى انه كلما تقدم به العمر ،كلما تتاح له فرصة التعرف والالتقاء واللعب مـــع الانداد والرفاق تحت اشراف واع من الكبار وخاصة الوالدين ،وحتى تتاح فرص التعلق امام الصغير لعدد اكبر من الافراد مما ينمي لديه روح الاستقلال وفى هذا ما يكون من سبيل لنمو سوى فى علاقاته الاجتماعية مستقبلاً .

هذا ونود أن نؤكد ان العلاقات الاجتماعية المشوبة بالدفء العاطفى والاستقرار فى العلاقة بالام او الحاضن ينمى لدى الطفل الشعور بالامن والاطمئنان ويحدث الهدوء ، والاستقرار فى الحياة الانفعالية والاجتماعية عند الطفل وخاصة خلال العامين الاولين من الميلاد .

٤- كما أن الانفصال الذى يحدث للطفل فى الفترة الحرجة من حياته من ٥ أشهر الـــى سنتين تتداخل فيها عدة مؤثرات منها : السن الذى يحدث فيه الانفصال للطفل - الحالة الصحية للطفل - ظروف وملابسات الانفصال - المدى الزمنى للانفصال (طويل الاجل أو قصير المدى ،مؤقت أو دائم) .

كما أنه من الاهمية بمكان ان لا يتم الانفصال عن الصغير وهو فى حالة صحية سيئة ، إذ أنه فى امس الحاجة الى الرعاية الطبية والرعاية الاجتماعية التى تخفف من آثار المرض ،وحيث يبدى الطفل فى حال مرضه التعلق الزائد بالوالدين اكثر من التعلـــق بالمربية او الحاضنة ،وحيث يؤثر ذلك بطبيعة الحال فى شدة التأثر الانفعالى للصغير.

والفترة الحرجة التى يحدث فيها الانفصال هى ما بين سن ٥ أشهر الى سنتين ، ويجدر فيها عدم الانفصال الطويل الأجل أذ أن ذلك يؤدى الى فقدان الثقة بين الطفـل والكبار ،وغالباً ما يرفض الطفل الام أو الاب إذا غابا عنه فترة طويلة اذ أن عاطفته ينتابها البرود،ونود أن نشير الى أن رعاية الصغار هى مسئولية مشتركة بين الام والاب ولم تعد المسئولية قاصرة على الام حسبما كان ذلك سائداً فى امهات الأجيال الماضية ، وحيث كان الاعتقاد السائد أن الام اقدر فى التعامل مع صغارها عن الاب .

والواقع ان الرعاية الابوية يجب ان يتقاسمها الاباء والامهات على حد سواء ،فإن الدفء فى المعاملة الذى يضيفه الاب عند حضوره الى المنزل ومحاولة جذب انتباه الصغير نحوه ومداعبته واستثارته اجتماعياً من شأنه أن يخلق هدوءاً وآماناً فى حياة الصغـير ، بجانب ما تقدمه الام من مشاعرها الفياضة واشباعها للحاجات العضوية للصغير .

من هذا فالمسئولية الوالدية أمر واجب فى الرعاية الاجتماعية لسلوك التعلق وقلق الانفصال ،وتوزيع التبعات بين الوالدين امر حيوى فى حياة الصغار .

وبعد فلنتذكر قول الله تعالى :

" وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا " .

(سورة النساء : آية ٩)

ان الآباء بحكم مسئوليتهم ورعايتهم للصغار عليهم تقوى الله فى تنشئة أبنائهم تنشئة دينية واجتماعية ونفسية سليمة ،وإذا كان دور الأم او دور الاب غائبا فى حياة الصغار فلا بد من اشراف سليم من اى منها فى توجيه من يتكفل بتربية او حضانة صغيرهما ،ويجب الا تغفل أعينهم عن هذه الرعاية الواجبة التى اصبح التفريط فيها سبباً من اسباب عدم تنشئة الابناء تنشئة سليمة .

إن الله تعالى فى وصفه لاهوال يوم القيامة يقول فى محكم آياته :

" يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت "

(سورة الحج : آية ٢)

وذلك من هول يوم الحساب الاكبر ،وحيث نفهم من الاية أن الام التى كان لا ينفصل جسدها عن جسد صغيرها فى الحمل ،ولا ينفصل ثديها عن فم صغيرها فى الارضاع ،ولا ينفصل كيانها العضوى والنفسى عن ابنها عندما يشب فى مدارج العمر المختلفة ،هذه الام تذهل يوم القيامة عما أرضعت . وفى هذا مثال حى لاهوال يوم القيامة ،ومثال حى على مدى العلاقة بين الام وبنيها .

وهنا بعض الامهات تذهل فى حياتهن الدنيا عن تنشئة اولادهن ويغفل بعض الاباء عن اعطاء الرعاية النفسية والاجتماعية لصغارهم ،معتقدين بأن الانفاق المادى بصوره المختلفة فيه ما يكفى لاشباع حاجات الصغار من طعام وكساء ومتاع .... والتنشئة الوالدية لاتكون بهذه الصورة .

أفلا نتدبر قول رسول الله المصطفى عليه الصلاة والسلام :

" ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ام ضيع "

ونرجو ان يكون رائد الاباء والامهات فى مجتمعاتنا العربية حفظ ما امرهم الله بالرعاية وعدم ضياع حق تنشئة صغارهم بما يمكنهم من أن يكونوا من الابناء النافعين الصالحين لاوطانهم .

والله نسأل قصد السبيل ،،

دكتور / عبدالمجيد سيد احمد منصور
استاذ مشارك ـ قسم علم النفس
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

المراجع العربية :

١- كتاب الله العزيز ـ القرآن الكريم .

٢- اسماعيل . دكتور محمد عماد الدين ،وابراهيم . دكتور نجيب اسكندر ،منصور . دكتور رشدى فهام (١٩٧٤) : كيف نربى اطفالنا : التنشئة الاجتماعية للطفل فى الاسرة العربية ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية .

٣- اسماعيل . دكتور محمد عماد الدين ،غالى . دكتور محمد احمد (١٩٨١) : الاطـــار النظرى لدراسة النمو . الكويت : دار القلم .

٤- اسماعيل . دكتور محمد عماد الدين (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) : الاطفال مرآة المجتمع ـ النمو النفسى الاجتماعى للطفل) فى سنواته التكوينية ـ الكويت ـ عالم المعرفة .

٥- البهى . دكتور فؤاد البهى السيد (١٩٧٥) الاسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ الطبعة الرابعة .

٦- علوان . عبدالله ناصح : (١٤٠٢هـ/١٩٨١م) تربية الاولاد فى الاسلام ـ حلب ـ بيروت دار السلام للطباعة والنشر ـ الطبعة الثالثة ـ الجزء الاول .

المراجع الأجنبية :

7- Ainsworth, M. & Bell, S. (1973). Mother-infant interaction and the development of competence. In Connolly. K. & Braner, J. (Eds.) The growth of competence. Bew York: Academic Press.

8- Ainsworth, M.D.S., Bell, S.M. & Stayton, D.J.(1971).Individual differences in strange situation behavior of one-year-olds. In Schaffer, H.R. (Ed.), The Origins of human social relations. London and New York: Academic Press.

9- Ainsworth M.D.S., Bell, S.M.&Stayton, D.J.(1974). Infant/mother attachment and social development: Socialisation as a product of reciprocal responsiveness to signals. in Richards. M.P.M.(Ed) The integration of child into a social world. Cambridge, England: Cambridge University Press.

10- Ainsworth, M.D.S. Blehar, M.C. Waters, E.&Wall, S. (1978). Patterns of attachment: A psychological study of the strange situation. Hillsdale, N.J. Lawrence Eribaum Associates.

11- Bee, H.L. (1974). The effect of maternal employment on the development of the child. In Bee, H.L. (Ed).Social issues in developmental psychology. New York: Harper&Tow.

12- Bowlby, J. (1952), Maternal care and mental health. Geneva: World Health Organization.

13- Bowlby, J. (1969). Beginning of attachment behavior. In Bowlby. J. Attachment and loss (Vol.1): Attachment. New York: Basic Books.

14- Bowlby, J. (1973). Attachment and loss, (Vol.2): Separation anxiety and anger. New York: Basic Books.

15- Brooks, J.& Lewis, M. (1976). Infants responses to strangers: Midget, adult and child, Child development, 47: 323-332.

16- Clarke-Stewart, K.A. (1973). Interactions between mothers and young children: Characteristics and consequences. Monographs of the society for research in child development 38 (6-7 serial no. 153).

17- Easterbrooks, M.A.&Lamb, M.E. (1979).The relationship between quality of infant-mother attachment and infant competence in initial encounters with peers. Child development, 50: 380-387.

18- Harlow. H.F. (1972). Love created-love destroyed-love regained Modeles animaux du comportement hamain. Edition du Centre National de la Recerche Scientifique: Paris.

19- Lamb. M.E. (1981 a). The development of social expectation in the first year of life. In Lamb. M.E.&Sherrod. L.R.(Eds). Infant social cognition. Hillsdale. N.J. Lawrence Erlbaum Associates.

20- Main, M.&Weston. D. (1981). Security of attachment to mother and father, related to conflict behavior and the readiness to establish new relationships. Child development, 52.

21- Mead, M.(1954). Some theoretical considerations on the problem of mother-child separation. American journal of othopsychiatry, 43: 413-416.

22- Moore, T.W. (1975), Exclusive early mothering and its alternatives. Scandinavian Journal of psychology, 15: 255-272.

23- Prescott, E. (1973, March), A comparison of three types of day-care and nursery school-home care. Paper presented at a meeting of Society for research in child development, Philadeliphia.

24- Rheingold, H.L.& Echerman. C.O. (1970), The infant separates himself from his mother. Science, 168: 78-83.

25- Rheingold, H.& Eckerman, C. (1973). Fear of the stranger: A critical examination . In Reese, H.W.&Lipsit, L.P, (Eds). Advances in child development and behavior (Vol. 8). New York: Academic Press.

26- Saltz, Roslyn. (1973). Effects of part time "mothering" on I.Q.and S.Q. of young institutionalized childrem. Child development.

27- Schaffer, H.R.&Emerson. P.E. (1964a). The development of social attachment in infancy. Monographs of the society for research in child development .

28- Skarin, K. (1977). Cognitive and contextual determinants of stranger fear in six and eleven-months old infants. Child development, 48: 537-544.

29- Spitz. R.A. (1965). The first year of life. New York: International Universities Press.

30- Stayton. D.J. Ainsworth. M.S.&Main, M.B.(1973). Development of separation behavior in the first year of life. Protesting Following and greeting. Developmental psychology, 9: 213-235.

31- Suomi, S.J.&Harlow, H.F.(1978). Early experience and social development in Rhesus Monkeys. In Lamb. M.E. (Ed), Social and personality development. New York: Holt, Rinehart and Winston.

32- Suomi, S.J.(1979). Pears, Play and primary prevention in primates. In kent, M.W.&Rolf, J.E.(Eds.) The primacy prevention of psychopathology (Vol.3) Social competence in children. Hanover, N.H.: University Press of New England.

33- Waters, E. Wippman. J.& Sroufe, L.A.(1979). Attachment, positive affect, and competence in the peer group: Two studies in construct validation. Child development, 30:821-82 a.

34- Wemraub, M.& Putney. E.(1978). The effects of height on infants social responses to unfamiliar persons. Child development, 49: 598-603.

35- Yarrow, L.J.(1964). Separation from parents in early childhood. In Hoffman. M.L.&Hoff, H.W.(Eds.) Review of child development (Vol.1).New York: Russell Sage Foundation.

36- Yarrow, L.J.& Pederson, F.A. (1972). Attachment: Its origins and course. Young children.